

القصيدة

هذه القصيدة أنيقة رشيقة، مملوءة من اللطائف الأدبية والفرائد العربية، في مدح سيدي وسيد الثقلين، خاتم النبيين، محمد الذي وصفه الله في الكتاب المبين، اللهم صلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين. وليست هذه من قريحتي الجامدة، وفطنتي الخامدة، وما كانت رويّتي الناضبة ضليعَ هذا المضمار، ومنبع تلك الأسرار، بل كل ما قلت فهو من ربي الذي هو قريني، ومؤيدي الذي هو معي في كل حين، الذي يطعمني ويسقيني، وإذا ضللت فهو يهديني، وإذا مرضت فهو يشفيني. ما كسبتُ شيئاً من مُلح الأدب ونوادره، ولكن جعلني الله غالباً على قادره. وهذه آية من ربي لقوم يعلمون، وإني أظهرتها وبيّنتها لعلّي أُجزى جزاء الشاكرين، ولا ألحق بالذين لا يشكرون.

يا عينَ فيضِ الله والعرفانِ يسعى إليك الخلقُ كالظَّمآنِ
يا بحرَ فضلِ المنعمِ المتّانِ تهوي إليك الزُّمُرُ بالكيزانِ
يا شمسَ مُلكِ الحسنِ والإحسانِ نورَتَ وجهَ البرِّ والعُمرانِ

قَوْمٌ رَأَوْكَ وَأُمَّةٌ قَدْ أُخْبِرَتْ مِنْ ذَلِكَ الْبَدْرِ الَّذِي أَصْبَانِي
 يَبْكُونَ مِنْ ذِكْرِ الْجَمَالِ صَبَابَةً وَتَأَلَّمًا مِنْ لَوْعَةِ الْهَجْرَانِ
 وَأَرَى الْقُلُوبَ لَدَى الْخَنَاجِرِ كُرْبَةً وَأَرَى الْغُرُوبَ تُسِيلُهَا الْعَيْنَانِ
 يَا مَنْ غَدَا فِي نَوْرِهِ وَضِيَائِهِ كَالنَّيِّرَيْنِ وَنَوَّرَ الْمَلَوَانَ
 يَا بَدْرَنَا يَا آيَةَ الرَّحْمَنِ أَهْدَى الْهُدَاةِ وَأَشْجَعَ الشُّجْعَانَ
 إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ الْمَتَهَلَّلِ شَأْنَا يَفُوقُ شَمَائِلَ الْإِنْسَانِ
 وَقَدْ اقْتَفَاكَ أَوْلُو النَّهْيِ وَبَصَدِقِهِمْ وَدَعُّوا تَذَكَّرَ مَعَهُدِ الْأَوْطَانِ
 قَدْ آتَرُوكَ وَفَارَقُوا أَحِبَابَهُمْ وَتَبَاعَدُوا مِنْ حَلْقَةِ الْإِخْوَانِ
 قَدْ وَدَّعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَنَفُوسَهُمْ وَتَبَرَّؤُوا مِنْ كُلِّ نَشْبٍ فَنَانِ
 ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتُ رَسُولِهِمْ فَتَمَزَّقَ الْأَهْوَاءُ كَالْأَوْثَانِ
 فِي وَقْتِ تَرْوِيقِ اللَّيَالِي نُورُوا وَاللَّهُ يُجَاهِمُ مِنَ الطُّوفَانِ
 قَدْ هَاضَمَهُمْ ظَلَمُ الْأَنْسَابِ وَضَيْمُهُمْ فَتَثَبَّتُوا بِعِنَايَةِ الْمَنَانِ
 نَهَبَ اللَّئِيمُ نَشُوبَهُمْ وَعَقَارَهُمْ فَتَهَلَّلُوا بِجَوَاهِرِ الْفُرْقَانِ
 كَسَحُوا بِيُوتَ نَفُوسِهِمْ وَتَبَادَرُوا لَتَمَتَّعَ الْإِيْقَانِ وَالْإِيْمَانِ
 قَامُوا بِإِقْدَامِ الرَّسُولِ بَعَزَوْهُمْ كَالْعَاشِقِ الْمَشْغُوفِ فِي الْمِيدَانِ
 فَدَمَّ الرَّجَالَ لِصَدَقِهِمْ فِي حُبِّهِمْ تَحْتَ السِّيُوفِ أَرِيْقَ كَالْقَرِيْبَانِ

جاءوك منهوبين كالعريانِ فسترتهم بملاحف الإيمانِ
 صادفتهم قوماً كروث ذلّةً فجعلتهم كسبيكة العقيانِ
 حتى انثنى برُّ كمثل حديقةٍ عذب الموارد مثمر الأغصانِ
 عادت بلادُ العربِ نحو نضارةٍ بعد الوجى والمحل والخسرانِ
 كان الحجازُ مغازل الغزلانِ فجعلتهم فانين في الرحمنِ
 شيئان كان القومُ غمياً فيهما حسو العقارِ وكثرة النسوانِ
 أما النساءُ فحُرمت إنكاحها زوجاً له التحريمُ في القرآنِ
 وجعلت دسكرة المدامٍ مخرباً وأزلت حانتها من البلدانِ
 كم شاربٍ بالرشفِ دثاً طافحاً فجعلته في الدين كالتشوانِ
 كم محدثٍ مستنطق العيdanِ قد صار منك محدث الرحمنِ
 كم مستهامٍ للرشفِ تعشّقاً فجذبته جذباً إلى الفرقانِ
 أحبيت أموات القرون بحلوةٍ ماذا يماثلك بهذا الشانِ
 تركوا العبوقَ وبدلوا من ذوقه ذوق الدعاءِ بليلة الأحرانِ
 كانوا برنات المثنى قبلها قد أحصروا في شحها كالعانيِ
 قد كان مرتعهم أغاني دائماً طوراً بغيد تارة بدنانِ
 ما كان فكرٌ غير فكر غواني أو شربِ راحٍ أو خيالِ جفانِ

كانوا كمشغوف الفسادِ بجهلِهِم راضين بالأوساخ والأدرانِ
 عيانِ كان شعارَهُم من جهلِهِم حُمقُ الحمارِ ووَثْبَةُ السَّرْحانِ
 فطلعتَ يا شمسَ الهدى نُصحاً لهم لتُضيئَهُم من وجهِكَ النوراني
 أرسلتَ من ربِّ كريمٍ محسنٍ في الفتنة الصِّمَاءِ والطُّغيانِ
 يا لَلْفَتى ما حسُنُه وجمالُه رِياه يُصِبي القلبَ كالرَّيحانِ
 وجهُ المهيمِنِ ظاهرٌ في وجهِهِ وشعْونُه لَمَعَتْ بهذا الشَّانِ
 فلذا يُحِبُّ ويستحِقُّ جمالُه شَغَفاً به من زمرةِ الأخدانِ
 سَجُحُ كريمٍ باذلٍ حلُّ التُّقى خرقٌ وفاقٌ طوائفَ الفتيانِ
 فاق الورى بكمالِهِ وجمالِهِ وجلالِهِ وجنانِهِ الرِّيانِ
 لا شكَّ أنَّ محمداً خيرُ الورى رَيْقُ الكرامِ ونخبةُ الأعيانِ
 تمتَ عليه صفاتُ كلِّ مَزِيَّةٍ خُتِمَتْ به نَعْماءُ كلِّ زمانِ
 واللهِ إنَّ محمداً كَرَدافَةٌ وبِهِ الوصولُ بسُدَّةِ السُّلطانِ
 هو فخرُ كلِّ مطهَّرٍ ومقدَّسٍ وبِهِ يُباهي العسكرُ الرُّوحاني
 هو خيرُ كلِّ مقربٍ متقدِّمٍ والفضلُ بالخيراتِ لا بزمانِ
 والطلُّ قد يبدو أَمامَ الوابلِ فالطلُّ طلٌّ ليس كالتَّهتانِ
 بطلٌ وحيدٌ لا تطيشُ سِهامُه ذو مصمياتٍ مُوبِقُ الشَّيطانِ

هو جنةٌ إني أرى أثماره وقُطوفه قد ذللت لِحَنَانِي
ألفيته بحرَ الحقائق والهدى ورأيتُه كالدُّرِّ في اللَّمَعَانِ
قد ماتَ عيسى مُطْرِقًا ونبئنا حيُّ، وربِّي، إنه وافانِي
والله إني قد رأيتُ جمالَهُ بعيونِ جسمي قاعدًا بمكاني
ها إن تظنَّيتَ ابنَ مريمَ عائشًا فعليك إثباتًا من البرهانِ
أفأنت لاقيتَ المسيحَ بيقظةٍ أو جاءك الأنباءُ من يقظانِ
أنظرُ إلى القرآنِ كيف يبيِّنُ أفأنت تُعرضُ عن هدى الرحمنِ
فاعلمْ بأن العيشَ ليس بثابتٍ بل ماتَ عيسى مثلَ عبدٍ فانِ
ونبيُّنا حيُّ وإني شاهِدُ وقد اقتطفتُ قطائفَ اللُّقيانِ
ورأيتُ في ريعانِ عُمري وجهَهُ ثم النبيُّ ييقظني لاقاني
إني لقد أُحييتُ من إحيائه واهًا لإعجازٍ فما أحياني!
يا ربِّ صلِّ على نبيِّك دائمًا في هذه الدنيا وبعثِ ثانِ
يا سيِّدي قد جئتُ بابك لاهفًا والقومُ بالإكفارِ قد آذاني
يفري سهامك قلبَ كلِّ محاربٍ ويشجُّ عزمك هامةَ الثعبانِ
للهِ دُرُكٌ يا إمامَ العالمِ أنت السُّبوقُ وسيِّدُ الشَّجعانِ
أنظرُ إليَّ برحمةٍ وتحنُّنٍ يا سيِّدي أنا أحقرُ الغلمانِ

يا حَبِّ إنك قد دَخَلتَ مَحَبَّةً في مُهَجِّي ومدارِكي وجَناني
مِن ذِكْرِ وجهِك يا حَديقَةَ بَهجتي لَمَ أُخَلُّ في لِحْظٍ ولا في آنِ
جسَمي يطيرُ إليكَ مِن شوقٍ عَلا يا لَيتَ كانت قوَّةُ الطَّيرانِ

القصيدة المبتكرة المحبرة

التي خاطري أبو عُذْرَهَا، وقد أودعْتُهَا أشعارًا
تشفي صدورَ المتفكرين، وتروي أَوَامَ الصّادِينَ

بمُطَّلِعٍ على أسرارِ بَالِي بعالمِ عَيْبِي في كلِّ حَالِي
بوجهٍ قد رأى أعشارَ قلبي بمستمعٍ لصَرَخي في اللَّيَالِي
لقد أرسلتُ من ربِّ كريمٍ رحيمٍ عند طوفان الضَّلالِ
وقد أعطيتُ برهانًا كرمُحٍ وثقَّفناه تثقيفَ العوالي
فلا تُقفُ الظُّنونَ بغيرِ علمٍ وخَفُّ أخذَ المحاسبِ ذي الجلالِ
ترى آياتِ صدقي ثم تنسى لحاك الله، ما لك لا تُبالي
تعال إلى الهدى ذُلًّا خضوعًا إلى ما تكتسي ثوبَ الدُّلالِ
وإن ناضلتني فترى سهامِي ومثلي لا يفرُّ من النَّضالِ
سهامي لا تطيش بوقتِ حربٍ وسيفي لا يغادر في القتالِ
فإن قاتلتني فأريك أُنِي مقيم في ميادين القتالِ
أبالإيذاء أترك أمرَ ربِّي ومثلي حين يؤذَى لا يبالي
وكيف أخاف تهديدَ الخناثي وقد أعطيتُ حالاتِ الرِّجالِ

ألا إني أقاومُ كلَّ سهمٍ وأقلبي الإكتنانَ عن النَّبالِ
فإنَّ حرباً فحربٌ مثل نارٍ وإنَّ سلماً فسلمٌ كالزُّلالِ
وحربي بالدلائل لا السُّهامِ وقولي لهذمَّ شاجُ القُدالِ
وفاقَ السيفِ نُطقي في الصُّقالِ قد اغتلتُ المكفرَ كالغزالِ
ولم يزل اللِّغامُ يكفُّروني إلى أن جاء نصرَةُ ذي الجلالِ
وقد جادلتني ظلماً وزوراً وجاوزتَ الديانةَ في الجدالِ
ولو قبل الجدالِ سألتَ مني جُذبتَ إلى الهدى قبل الوبالِ
لنا في نصرَةِ الدِّينِ المتينِ مساعٍ في الترقِّي والكمالِ
هداني خالقي هجاً قوياً ورباني بأنواع النَّوالِ
لقد أعطيتُ أسرارَ السُّرائرِ فسَلَّ إن شئتَ من نوعِ السُّوالِ
وقد غَوَّصتُ في بحرِ الفناءِ فعدتُ وفي يدي أجمي اللَّالِ
رأيتُ بفضلِ ربِّي سُبُلَ ربِّي وإن كانت أدقَّ من الهلالِ
وكمَّ سرُّ أراني نورُ ربِّي وآياتٍ على صدقِ المقالِ
وعلمٍ يهَرَنَ عقولَ ناسٍ ورأيٍ قد علا قُننَ الجبالِ
سعتُ وما وئيتُ بشوقِ ربِّي إلى أن جاءني ربِّي الوصالِ
وقد أشربتُ كأساً بعد كأسٍ إلى أن لاحَ لي نورُ الجمالِ

وقد أُعْطيتُ ذوقًا بعد ذوقٍ ونَعَمَاءَ المَحَبَّةِ وَالسَّدَالِ
وَجَدْتُ حَيَاةَ قَلْبِي بعد موتي وعادتُ دولتي بعدَ الزَّوَالِ
لُفَاطَاتُ المَوَائِدِ كانَ أَكْلِي وصِرْتُ اليَوْمَ مَطْعَمَ الأَهَالِي
أزيد بفضله يومًا فيومًا وأُصَلِّي قَلْبًا منتظرِ الوَبَالِ
ألا يا حاسدي خَفْ قَهْرَ رَبِّي وما أَلُوكَ نُصْحًا في المَقَالِ
فلا تستكبرَنَّ بغيرِ عُجْبٍ وكمْ مِّنْ مُّزْدَهٍ صَيْدِ النِّكَالِ
ألا يا حاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَاهُ تَذَكَّرْ يَوْمَ قُرْبِ الأَرْتِحَالِ
سَهَامُ المَوْتِ تَفْجَأُ، يا عَزِيزِي ولو طَالَ المَدَى في الأَنْتِقَالِ
هداك اللهُ قد جادلتَ بَغْضًا وما فَكَّرْتُ في قولي وقَالِي
وكمْ أَكْفَرْتَنِي كَذِبًا وزورًا وكمْ كَذَّبْتَ مِن زَيْغِ الخِيَالِ
وإني قد أرى قد ضاعَ دِينُكَ فُكِّمَ وَارَبًا بهِ قَبْلَ الرِّحَالِ
حيأتُكَ بالتغافلِ نَوْعُ نَوْمٍ وأيامُ المعاصي كاللَّيَالِي
ولستُ بِطالِبِ الدُّنْيَا كَرَعِمِكَ وقد طَلَّقْتُهَا بِالاعتِرَالِ
ترَكْنَا هذه الدُّنْيَا لَوَجْهِهِ وآثَرْنَا الجَمَالَ على الجَمَالِ
وإنك تزدري نُطْقِي وقولي ولو صادَفْتَهُ مِثْلَ الأَلَايِ
فلا تَنْظُرْ إلى زَحْفِ فَإِنِّي نَظَّمْتُ قَصِيدَتِي بِاللَّارْتِحَالِ

القصيدة

أُمِرْتُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْمَمَجَّدِ فَقَمْتُ وَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ
 وَهَذَا كِتَابِي قَدْ تَلَأَلَا وَجْهَهُ تَلَأُلُوْ سَمَطِي لَوْلُوْ وَزَبْرَجَدِ
 تَرَى نَوْرَ الْعِرْفَانِ فِيهِ كَأَنَّهُ أَيَاةُ ذُكَاةٍ أَوْ بَرِيقُ الْعَسْجَدِ
 وَإِنِّي أَرَى فِيهِ الشِّفَاءَ لَطَالِبِ وَيُشْفَى بِهِ قَلْبُ السَّعِيدِ وَيَهْتَدِي
 وَأُوْدَعْتُهُ أَسْرَارَ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَرَتَّبْتُهُ مِثْلَ الثَّقِيْفِ الْمَسْنَدِ
 وَكَمْ مِنْ لَأَلِي فِيهِ مِنْ سِرِّ الْهُدَى فَيَا صَاحِبَ فَتَشُّهَا وَلَا تَتَجَلَّدِ
 وَقَدْ بَانَ وَجْهُ الْحَقِّ فِيهِ وَضَاحَةً كَخَدِّ نَقِيِّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ
 وَإِنِّي مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ مَجْدَّدِ وَمِنْهُ مَبَارَاتِي وَسَيْفِي وَأَجْرَدِي
 وَوَاللَّهِ إِنِّي مِنْ نَخِيلِ خَمِيْلَةٍ وَحَبِّي بِبِسْتَانِي يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
 وَقَدْ خَصَّنِي رَبِّي وَأَلْقَى رِذَاءَهُ عَلَيَّ فَمَا تَدْرُونَ مَا تَحْتَ بُرْجُدِي
 وَقَدْ ذُلَّتْ نَفْسِي بِتَوْفِيقِ خَالِقِي فَلَيْسَ كَمِثْلِي فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبَدِ
 نَمَا كُلُّ عِلْمٍ صَالِحٍ فِي قَرِيحِي كَأَشْجَارِ مَوْلِي الْأَسْرَةِ أَعْبَدِ
 فَجَدَّدْتُ تَوْحِيدًا عَفَتْ آثَارُهُ وَطَهَّرْتُ أَرْضَ الدِّينِ مِنْ كُلِّ جَلْسَدِ

وقومي يعاديني غروراً ونخوةً متى أدنُ رحماً يئناً عنِّي ويعدُّ
يسبُّ وما أدري على ما يسبِّي أيكفرُ من يُعلي لواءَ محمدٍ (ﷺ)
يزاحمني من كلِّ باب فتحتُها لنصرِ رسولِ اللهِ حبيِّ وسيدي
وقد أكفروني قبلَ كشفِ حجابهم ويعلمُ ربِّي صدقَ قولي ومقصدي
ورُبَّ وليِّ اللهِ برُّ مقربُ يُرى في عيونِ الحاسدينِ كملحدِ
وأيقظتُهم رحماً عليهم وشفقةً ولكنَّهم أعداءُ كلِّ مسهدِ
ولستُ بتاركُ أمرِ ربي مخافةً ولو قتلتوني بالحسامِ المجرِّدِ
وكيف أخافُ هميقَ قومٍ مفندِ مثلِ عواءِ الذئبِ بل صوتِ جدِّدِ
وكيف يؤثِّرُ حجِّي في نفوسهم ولا حظَّ من سرِّ الهدى لضفندِ
تبينتِ الآياتُ حقاً فما رأوا وصالوا وخالوني على غيرِ مرصدِ
وإني أبنتُ لهم دلائلَ مقصدي وليس لهم أدنى الدلائلِ في اليدِ
وقد استتروا كالطيرِ في وكناتها لما عجزوا من قبلِ عَضْبِ محدِّدِ
فما قاوموني في مصافٍ وما اهدوا فقلنا اخسُّوا لا خوفَ منكم لمهتدي
وكيف أعالجُ قلبَ وجهٍ مسودِّ غبيِّ شقيِّ في البطالةِ * مفسدِ

* هذا لفظ ذو معنيين: المعنى الأول فظاهر، والمعنى الثاني فهو إشارة إلى بلدة اسمه "بتاله"، ويسكن فيها فتان مفسد اسمه شيخ محمد حسين، وإليه أشرت في هذه القصائد التي اقتضبتُها، ورسالي التي كتبتها. وهذا

ويعلون دِعْصَ الرملِ هربًا وكلّهم
 كَرَّيْبِ ثورِ الوحشِ يَحْشونَ جَدَجَدِي
 وقلت لهم يا قوم خَفْ قَهْرَ قَادِرٍ
 وَأَقْصِرْ وَمَهْلًا بَعْضَ هذا التَشَدِّدِ
 فما تركوا أوزارَ شرٍّ وفتنةٍ
 وما خافوا نيرانَ يومٍ مُبَدِّدٍ

امرءٌ مفلسٌ لم يُرْضِعْ ثديَ الأدبِ ولم يُرْزَقْ من العلومِ النَّحْبِ، وهو من الذين يُؤثرونَ الثرائدَ وَيَدْعونَ الفرايدَ، ومع ذلك هو عدو الحق خبيث الأنفاسِ دنيءُ النَّحاسِ. أَصَلَتَ لسانه على العَضْبِ الجَرَّازِ والنفاسِ، وكشَّرَ عن أنيابه كالذيابِ عند الافتراسِ، وإنه صفر اليد من العلوم وأزْمُولَ كَناسِ الوسواسِ وزاملته الحَناسُ. سردتُ على كتابي فأبي، ودنوتُ ترحمًا فتحامى. فتاقت نفسي الآن إلى أن أفضَّ ختمَ سرِّه الأَخْفَى، ليعلم الناسُ أن الحق مبین والشيخ شَيْطِينٌ. منه